أحمد بهجت

رائد الحركة الإسلامية

في تركيا

المجاهد المجتهد الشيخ

سعيد النورسي

١٨٧٣ ـ ١٩٦٠

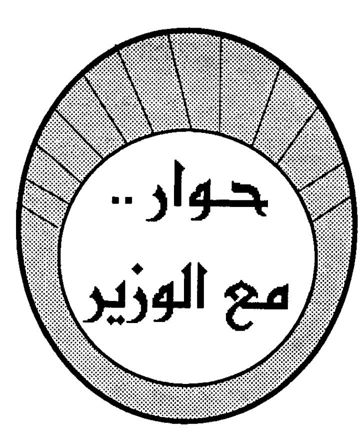
المختار الإسلامي

للنشر والتوزيع والتصدير

١٦ شارع كامل صدقي بالفجالة

القاهرة ت ٩١١٣٧١

بسم الله الرحمن الرحيم



كان الوعى لا ينقص سعيد النورسى ، كما كانت الشجاعة صفة من صفاته النادرة التى التصقت بشخصيته وصارت جزءاً متمماً لها.

من دلائل وعيه وشجاعته ما كان من أمره مع العريضة التى قدمها للسلطان عبدالحميد، وهى عريضة طالب فيها بفتح المدارس التى تعلم العلوم الرياضية والطبيعية والكيمياء، إلى جوار المدارس

الدينية فى شرق الأناضول، حيث يخيم الجهل والفقر على سكانه.

وقد أعجب السلطان بوعيه واستدعاه، وخلال هذا اللقاء انتقد سعيد النورسى نظام الأمن والاستخبارات بقصر يلدز حيث كان يعيش السلطان، الأمر الذى أثار نقمة حاشية السلطان التى لا تمثل فكر السلطان فحولوه إلى محكمة عسكرية.

وفى هذه المحكمة تكلم بجرأة كبيرة، وتحدث عن السلطان بوصفه السلطان المظلوم، وكان قصده انه مظلوم لأن حاشيته وكثيراً من معاونيه لا يفهمونه ولا يحاولون خدمته بل ويخربون أفكاره.. وأحالته المحكمة إلى الأطباء الذين أحالوه بدورهم إلى مستشفى طوب كاش للمجانين، ثم أفرج عنه بعد أن ثبت انه أعقل من

أطبائه وسجانيه، واستدعاه وزير الداخلية ودار بينهما هذا الحديث:

قال الوزير : إن السلطان يخصك بالسلام، مع مرتب ألف قرش (عشرة جنيهات).

بديع الزمان : لم أكن أبداً متسول مرتب.. ولن أقبله ولو كان ألف ليرة، أنتم تعرضون على رشوة لأصمت.. ولن أصمت.

قال وزير الداخلية : انك بهذا ترد الإرادة السلطانية والإرادة لا ترد.

قال بديع الزمان: إننى أرد لكى يستاء السلطان ويستدعينى، وعندئذ أقول له قولة الحق.

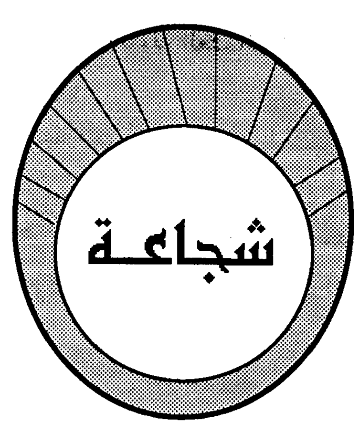
قال الوزير : ان العاقبة لن تكون سارة.

قال بديع الزمان : تعددت الأسباب والموت واحد.. لئن أعدمت فسوف أرقد فى قلب الأمة، إننى أريد أن أوقظ أبناء الأمة، وأنا أفعل ذلك

بوصفى فرداً من هذا البلد، وليس قصدى أن أقتطف من ورائه مرتباً.. إننى معذور عندما أرفض المرتب.

قال وزير الداخلية : ان ما ترمى إليه من نشر المعارف فى بلدك هو موضع دراسة فى مجلس الوزراء حالياً.

قال بديع الزمان : إذن لماذا يتأخر نشر المعارف، ويستعجل فى أمر المرتب؟.. لماذا تؤثرون منفعتى الشخصية على المنفعة العامة للأمة ؟



حين كان سعيد النورسى فى الثلاثين من عمره، زار استانبول فى هذه الفترة شيخ الأزهر المصرى «الشيخ بخيت المطيعى».. وأراد علماء استنابول الذين عجزوا عن إلزام النورسى بحجتهم، ان يقابل شيخ الأزهر هذا الشاب التركى الذى أعياهم قياده.. وقد حدث اللقاء، وكان السؤال الذى وجهه شيخ الأزهر هو التالى: ما رأيك فى الحرية

الموجودة الآن فى الدولة العثمانية؟.. وماذا تقول فى مدنية أوروبا؟..

قال سعيد النورسى: الدولة العثمانية حبلى حالياً بجنين أوروبا وستلد يوما ما، أما أوروبا فهى الأخرى حبلى بجنين الإسلام وستلد يوما ما.. وأمام هذا الجواب الموجز العميق قال الشيخ بخيت:

- إننى أوافق على كلامه، وأنا أحمل هذا الرأى نفسه، ولا معنى للمناظرة مع هذا الشاب.

والحق ان بديع الزمان سعيد النورسى عاش حياة صعبة، فإلى جوار عطائه فى الدروس وجهده الذى كان يبذله فيها، فقد ظل طوال حياته هدفاً لمطاردة السلطة، أو هدفاً لمحاكمات عديدة.. وحكم عليه بالإعدام أكثر من مرة، وكانت عناية الله تعالى تنقذه فى اللحظات الأخيرة..

ولم يكن النورسى يتردد فى قول الحق حتى فى أحرج الظروف..

كان خورشيد باشا الحاكم العسكرى يحاكمه بتهمة عقوبتها الشنق.. قال له:

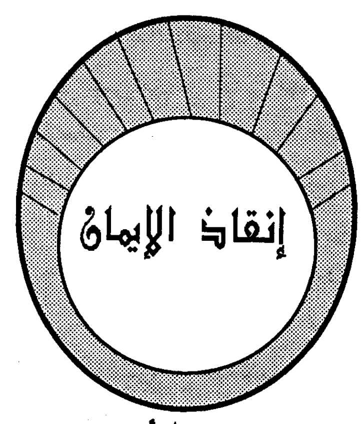
ـ أنت أيضاً تدعو إلى تطبيق الشريعة.. ألا تعرف أن من يطالب بهذا يشنق.. وقف النورسى وقال للمحكمة كلاماً ختمه بقوله :

ـ لو أن لى ألف روح لما ترددت فى أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام.. لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد، أما الآن فإنها تعادى الحياة ذاتها، وما دامت الحكومة هكذا فليعيش الجنون وليحيا الموت وللظالمين عاشت جهنم..

ولقد كانت حياته سلسلة من المحاكمات والنفى والإبعاد وتحديد الإقامة وكانت جريمته الواحدة

التى حوكم عنها عشرات المرات أنه رجل يدعو إلى الله، ويدعو إلى أن يكون الإسلام حاكماً فى قلوب الناس، وأن تكون شريعته قانوناً مطبقاً فى الحياة..

ولقد كان هذا الحق الطبيعى فى هذه السنوات هو أخطر تهمة يمكن أن توجه إلى إنسان.



بعد ولاية مصطفى كمال أتاتورك..

وفى هذه السنوات الحالكة فى حياة تركيا، ألغيت الخلافة وألغيت قوانين الشريعة، واستبدلت بالقوانين الأجنبية، وألغيت الحروف العربية واستخدمت بدلاً منها الحروف اللاتينية، حتى يفصل النظام بين الناس ومنابع شريعتهم فى لغتها العربية، وتحول الآذان من اللغة العربية إلى اللغة

التركية، وأصبح محرما على الناس ارتداء ملابس الشيوخ، وتم قهر الناس على لبس الملابس الأفرنجية بالقبعة.. وأعلنت علمانية الدولة.. وبدأ اضطهاد المشايخ ورجال الدين، وأصبح الهمس بالرغبة فى تطبيق الشريعة الإسلامية جريمة كبرى تتصل بأمن الدولة العليا ولها عقوبتها وهى الشنق.

وفى هذا الجو المسموم تم حذف دروس الدين من المدارس، كما حذفت كلمات الخالق.. والرب. والله جل جلاله من كتب المدارس، ووضعت بدلاً منها كلمات الطبيعة والتطور والوطنية والقومية.. كان الهدف هو محو مفهوم الإله ومحو فكرة الخالق من الأذهان، وأصبحت النظرة إلى المتدينين تعتبرهم جماعة من الأفاقين الذين يعتقدون فى وجود شىء وراء الطبيعة.

سنة ١٩٣٢ نشرت فى استانبول بتركيا دائرة معارف الحياة، فماذا كتبت دائرة المعارف هذه - أو بمعنى أصح «دائرة الجهالات» ، تحت كلمة لفظ الجلالة «الله»؟

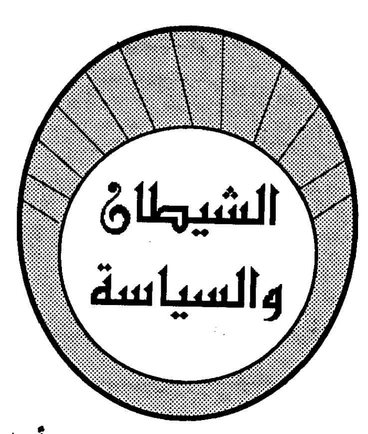
كتبت دائرة المعارف التركية فى عهد العلمانية تقول : «إن الفكرة التى تريد الأديان الموجودة حالياً أن تبثها هى أن الله واحد، وأنه هو الذى خلق الكون، ولكن التقدم العلمى بدأ يوضح لنا شيئاً فشيئاً أن هذه الفكرة باطلة، وأنه لا وجود لشيء اسمه «الله» وقد انتشرت فكرة عدم الاعتقاد بالله بين أوساط المثقفين».

هذا ما كتبته دائرة المعارف التركية.

فى هذا الجو الكئيب كان الإسلام يتعرض لحرب علنية تشنها الحكومة بكل أجهزتها.. وفى هذه السنوات الحالكة السواد، أشعل سعيد النورسى

شمعة لتبديد الظلام، وقال فى تقديم نفسه «إننى لست شيخ طريقة، فالوقت الآن ليس وقت طرق صوفية، بل وقت إنقاذ الإيمان».

لقد كان إنقاذ الإيمان هو القضية التى لا تحتمل التأجيل لحظة واحدة.



بدأ سعيد النورسى كفاحه من أجل إنقاذ الإيمان.. ومر فى كفاحه بأكثر من مرحلة كما يحدثنا هو نفسه فى كتاباته.. فى المرحلة الأولى حاول خدمة الإسلام عن طريق الخوض فى غمار السياسة.. كان يسبح ضد التيار ويحاول صد التيارات المعادية للإسلام عن طريق العمل السياسى، قابل السلطان عبدالحميد ونصحه،

وكتب المقالات السياسية فى جريدة وولقان، وحاول التأثير فى رجال الاتحاد والترقى لدفعهم الى الجانب الإسلامى، وحاول فى أنقرة التأثير فى أعضاء مجلس النواب وتقوية الجانب السياسى فيهم، وتعرض للقبض والتحقيق والمحاكمة أكثر من مرة.

ثم أدرك بذكائه وحكمته استحالة خدمة الإسلام بالدخول فى معترك السياسة ودهاليزها وصراعاتها العقيمة..

لقد أغلقت المدارس الدينية وتحولت مئات المساجد إلى مخازن أو اسطبلات أو مراكز للشباب.. وهكذا طلق سعيد النورسى الحياة السياسية وقال كلمته الشهيرة فى ذلك «أعوذ بالله من الشيطان والسياسة»..

وقد لاحظ سعيد النورسى خلال خوضه غمار

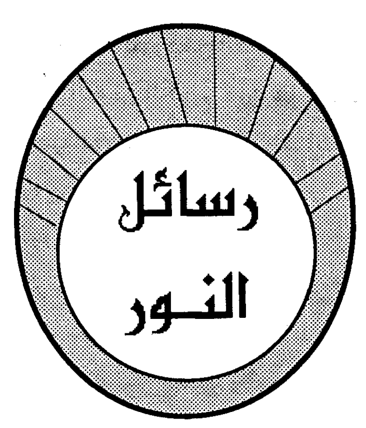
العمل السياسى أنه فى حاجة إلى استخدام الأدوات المتاحة، وهم البشر، وكان هؤلاء البشر على قدر من الانتهازية كما كان إيمانهم ناقصاً، وتساءل سعيد بينه وبين نفسه هل يمكن خدمة الإسلام بأناس لا يملكون إيماناً كاملاً، هل يمكن خدمة الإسلام بنفوس لم تعرف الإسلام جيداً ولم تتشرب به؟..

ألا يكون ذلك أكبر تشويه لصورة الإسلام وأكبر أذى يمكن إلحاقه به.. إن هذا ما يريده الغرب المتربص بالإسلام.

بهذه النظرة العميقة والمتأنية، وبعيداً عن الحماس والارتجال، أدار ظهره لعالم السياسة، وكتب يقول عن نفسه «لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يزيد على عشر سنوات، لعله يخدم الدين والعلم عن طريقها، ولكن محاولته

ذهبت أدراج الرياح»..

لماذا .. لأن أغلب السياسة خداع وأكاذيب، وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبى دون أن يشعر، ومضى سعيد يعدد أسباب تركه للعمل السياسى وختم كتابته بقوله.. لأجل هذا كه فإن سعيداً القديم قد ترك السياسة ومجالسها الدنيوية كما ترك السيجارة وقراءة الجرائد.



صرف سعيد النورسى همه لإملاء رسائل النور على تلاميذه ومريديه.. كانت الرسائل فى جوهرها محاولة ناجحة للدعوة إلى الله عن طريق إيقاظ القلب وتنويره بالإسلام..

وتبدو رسائل النور رسائل عادية لشرح مفاهيم الإسلام، والدعوة إلى الله، ولكنها فى حقيقتها تفسير قيم للقرآن الكريم، وهو تفسير تجتمع له

خصائص لا تجتمع لغيره من التفاسير..

أهمها أن القرآن الكريم كان هو وحده أستاذ النورسى ومرشده، فلم يغادره إلى كتاب آخر، ولم يتخذ غيره مصدراً.

ولقد قيل : كيف تعتبر رسائل النور تفسيراً للقرآن الكريم مع انها لا تشبه التفاسير المتداولة؟

إن الجواب عن هذا السؤال ان التفسير نوعان :

الأول : هو تفسير اللفظ والعبارة والجملة فى الآية الكريمة.

الثانى : هو إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتا مدعما بالحجج والبراهين.. ولقد كان تفسير النورسى من النوع الثانى. إن القرآن الكريم بحر لا تنتهى كنوزه.. إن لكل تفسير عصره، وكل عصر يقدم تفسيره طبقاً لعلوم العصر واكتشافاته ورحابة معرفته.. إن الله تبارك

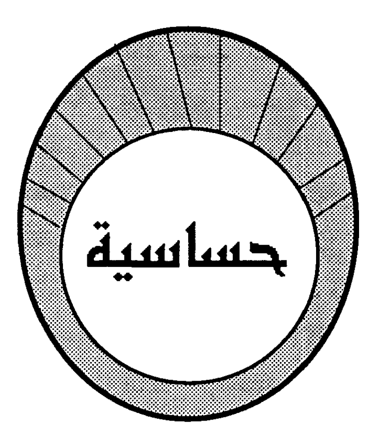
وتعالى يقول: **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾**.

إن فهم القدماء وتفسيرهم لهذه الآية، لا يشبه فهم المحدثين لها، إن فهم المحدثين والمعاصرين أعمق.. لقد كشف التقدم فى علم الفلك عن أن الشعاع الضوئى لبعض النجوم يستغرق أربعة آلاف سنة ضوئية لكى يصل إلى الأرض، وهذا يعنى أن الشعاع سوف يسير بسرعة ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثانية لمدة أربعة آلاف سنة.

هنا نفهم عظمة القسم الإلهى بمواقع النجوم.. وهنا يتضح معنى الآية عند المعاصرين أكثر من اتضاحه عند القدماء.

وهكذا عكف سعيد النورسى على إملاء رسائل النور، واستمر فى مهمته حتى دخل فى المرحلة الثالثة من نشاطه حين بدأ تدريسه الجماعى

لرسائل النور.. إضافة إلى قيامه بنصح السياسيين ورجال الحكم باتباع الإسلام، دون أن يدخل بنفسه فى معترك السياسة.



فى العشرينيات من هذا القرن.. نشبت ثورة فى الأقاليم الشرقية فى تركيا بقيادة الشيخ سعيد بيران، وكان هذا زعيماً بارزاً فى العشائر الكردية.. وكانت هذه الثورة موجهة ضد سياسة مصطفى كمال أتاتورك الذى أثار نقمة الشعب ضده بسبب موقفه المعادى للإسلام..

وقبيل اندلاع الثورة أرسل الشيخ سعيد بيران

رسائل إلى الأستاذ سعيد النورسى يطلب منه الاشتراك معه فى الثورة ضد حكومة أنقرة، فرفض لعدم رغبته فى إراقة دم المسلمين الأبرياء فى حركة لا أمل فيها.. وجرى بينه وبين حسين باشا رئيس إحدى العشائر الكردية هذا الحوار.

حسين باشا : أريد أن أستشيرك فى أمر، إن جنودى حاضرون والخيول موجودة وكذلك الأسلحة والذخائر .. وأنا أنتظر أمراً منكم.

سعيد النورسى: ماذا تقول .. ومن ستحارب ؟

حسين باشا : سنحارب مصطفى كمال.

سعيد النورسى : من هم جنود مصطفى كمال ؟

حسين باشا : ماذا أقول.. إنهم جنود !!

سعيد النورسى : إن جنوده مسلمون من أبناء هذا الوطن، هم أقرباؤك وأقربائى، من تقتل.. ومن يقتلون؟! فكر وافهم.. إنك تريد أن يقتل

الأخ المسلم أخاه المسلم.

حسين باشا : الموت أفضل من هذه الحياة..

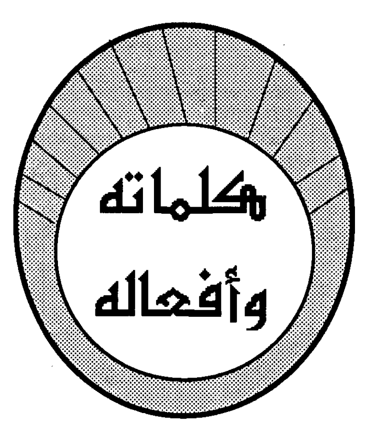
سعيد النورسى : وما ذنب الحياة.. إذا كنت قد مللت حياتك، فما هو ذنب المسلمين المساكين؟

حسين باشا : (حائراً) لقد أفسدت عزيمتى ورغبتى، كيف أقابل عشيرتى التى تنتظر عودتى؟.. ماذا يكون رأيهم فى ؟ إنهم سيظنون اننى جبنت.. لقد ضيعت قيمتى بين عشيرتى.

سعيد النورسى : لا يهم أن تكون قيمتك صفراً عند الناس، ما دمت مقبولاً عند الله تعالى.

حسين باشا : نحن نريد تطبيق الشريعة الإسلامية.

سعيد النورسى : أتريد تطبيق الشريعة الإسلامية ؟ إن تطبيق الشريعة لا يكون بهذه الطريقة.



لم يكن سعيد النورسي يرغب فى حفظ دم المسلمين فحسب، وإنما أيضاً كان لا يثق بهؤلاء الأشخاص ومدى وعيهم الإسلامى ومدى قدرتهم على تمثيل الإسلام..

ولهذا السبب الجوهرى ورد فى حواره مع حسين باشا قوله :

ـ يا حسين باشا .. لو قلت لك تعال مع جنودك

الثلاثمائة لتطبيق الشريعة، فإن جنودك وهم فى طريقهم إلى هنا، سيقومون بنهب وسلب وقتل كل من يمرون عليه فى الطريق، وهذا مخالف للشريعة، كيف تطبقون الشريعة عن طريق مخالفتها ؟

كان وعى سعيد النورسى بالعدل عميقاً، ومن هنا كان وعيه بالإسلام عميقاً.. لم يكن على استعداد لأن يظلم تحت أى شعار من شعارات الإنصاف أو العدل، كان يريد أن يكون شعاره منطبقاً مع أفعاله، وأن تكون أفعاله هى الترجمة الفعلية لأقواله.

ورغم رفضه الاشتراك فى حركة الشيخ سعيد بيران، وإقناعه رؤساء العشائر الكردية بعدم الاشتراك فى قتال جنود مصطفى كمال، رغم ذلك لم يسلم موقفه هذا من غضب حكومة أنقرة.

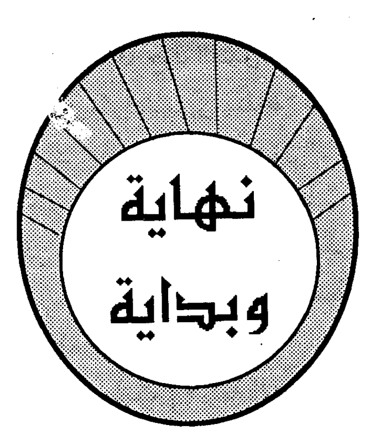
وهكذا أرسلوا اليه مجموعة من الجنود

والضباط لاعتقاله.. ومن هنا نقل إلى استنابول.. ثم عاد لينقل إلى مدينة بوردور .. ثم إلى مدينة اسبارطة. واستغل الأستاذ سعيد النورسى هذه الفترة فى تأليف «رسائل النور».. وهى رسائل كانت تستنسخ باليد، ويتداولها الطلاب والمحبون، وتنتشر وسط الناس انتشار النار فى الهشيم.

وبعد أن كانت الحكومة تتبعه وحده.. بدأت تطارده وتطارد معه رسائل النور..

حدث هذا فى حياته وبعد وفاته.

استمرت مطاردة رسائل النور، وأصبح من المشاهد المتكررة والمألوفة مشاهد المحاكمات التى تقيمها الدولة لطلاب رسائل النور على اختلاف نوعياتهم وتخصصاتهم. وعبثاً حاولت الحكومات المتعاقبة أن تطفىء هذه الشعلة التى أشعلها سعيد النورسى واستمدها من القرآن الكريم.



فى صباح يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٦٠، الموافق الخامس والعشرين من أيام شهر رمضان سنة ١٣٧٩.. لم ينهض الأستاذ سعيد النورسي لصلاة الفجر، وكشف تلاميذه الغطاء عن وجهه ليعرفوا الحقيقة..

لقد انتقل الأستاذ إلى الرفيق الأعلى..

كان الأستاذ فى أورفة.. وانتشر الخبر فيها

فتجمهر الناس آلافاً حول الفندق الذى يسكن فيه، وبدأ سيل من وفود المعزين يتقاطر على المدينة.. وانهمر المطر رذاذاً وهم يشيعون الأستاذ إلى مثواه الأخير فى مقبرة «أولو جامع»..

لم يكن هذا المثوى هو المثوى الأخير، فبعد أربعة أيام من وفاته، وقع انقلاب عسكرى أطاح بالحزب الديمقراطى وسيق أعضاء الحكومة إلى المحكمة التى سميت بمحكمة الدستور، وأعدمت هذه المحكمة رئيس الوزراء عدنان مندريس واثنين من وزرائه، وحكمت على الباقين بالمؤبد والسجن.. وبدأت الحكومة الجديدة فى مطاردة التيارات الإسلامية فى تركيا ومنها حركة طلاب النور..

بعد مرور خمسة أشهر على وفاة سعيد النورسى، استدعى شقيق الأستاذ إلى الوالى حيث

خاطبه الجنرال جمال تورال قائلاً:

- إن زواراً عديدين يأتون لزيارة قبر شقيقكم، ولما كنا نعيش فى ظروف دقيقة، رأينا ان ننقل رفات شقيقكم - بمعاونتكم طبعاً - إلى مكان آخر.. نرجو أن توقع هذه الورقة.

رفض شقيقه فى البداية، ولكنهم أجبروه على توقيع الورقة، واتجهوا بطائرة عسكرية نحو قبره..

وهناك حفروا قبره، وأخرجوا جثمانه ووضعوه فى تابوت، وحملوا التابوت إلى الطائرة العسكرية التى ذهبت به إلى مدينة أسبرطة، وهناك دفنته فى مكان لا يعرفه أحد.

هذه قصة مجاهد مسلم عاش ٢٨ عاماً من عمره فى السجون والمنفى، ولكنه استطاع وحده - بتوفيق من الله وفضل - أن يهز

تركيا من أدناها إلى أقصاها، وأن يقذف الرعب فى قلوب أعداء الإسلام، وأن يحمل بيده شعلة من النور وسط ظلام الأيام الحالكة.